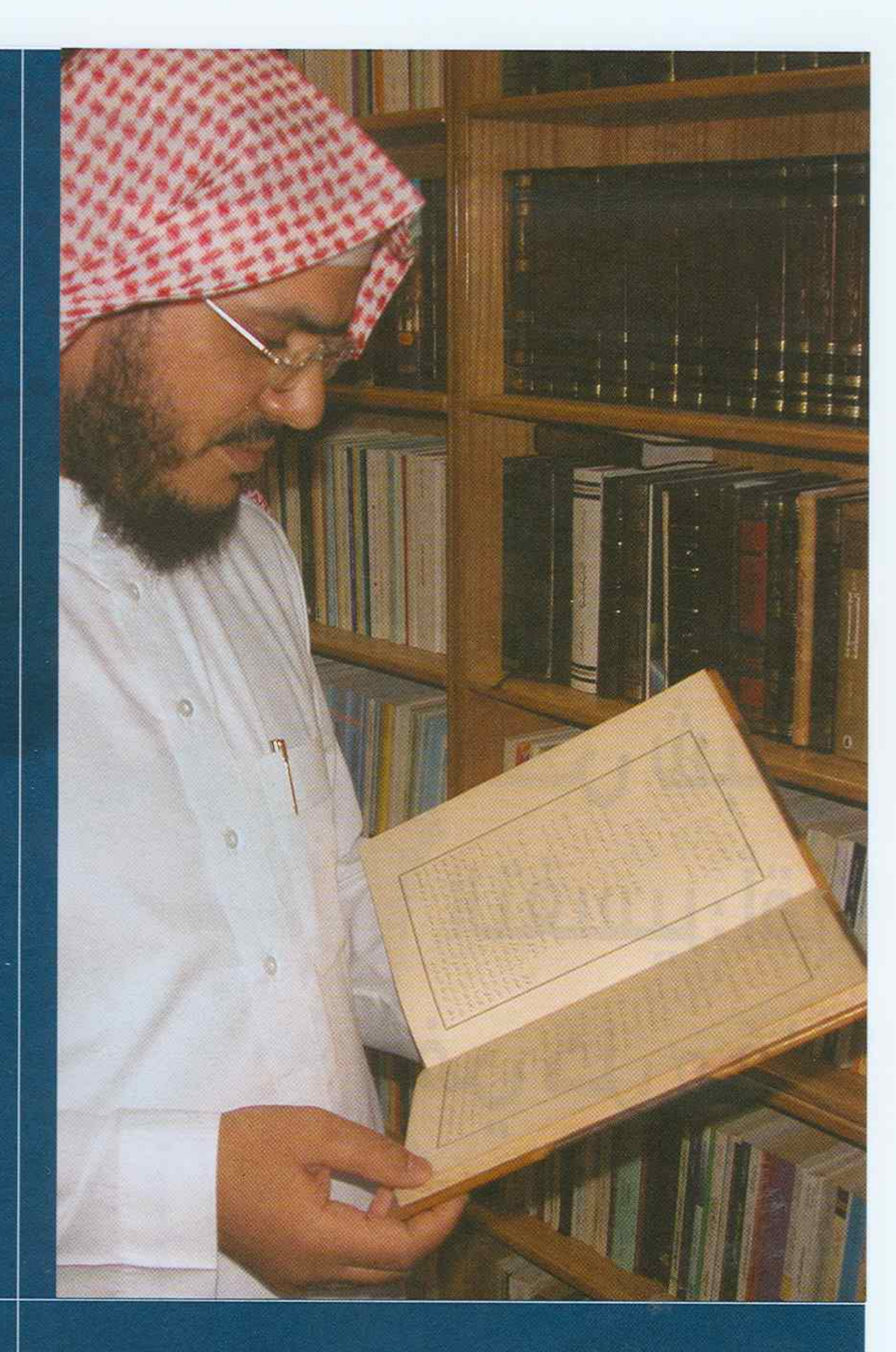


خُذ الكتاب بقوة

الدكتور عبد الرحمن الشهري المشرف العام على شبكة التفسير: أقرأ في كل مكان وزمان

لكل شخصية مفتاحها، ومفتاح شخصية الأكاديمي السعودي الدكتور عبد الرحمن بن معاضة الشهري أستاذ الدراسات القرآنية المساعد بكلية التربية بجامعة الملك سعود هو حب القراءة واقتناء الكتاب؛ إذ يجمع هذا الأكاديمي الشاب آلاف الكتب في مكتبته الخاصة، تراوحت بين الكتب المتعلقة بتخصصه في الدراسات القرآنية، التخصصات التي يهوى القراءة فيها مثل الدراسات الأدبية واللغوية التي تحتل حيزاً كبيراً في مكتبته.

ثلاثون عاماً في صحبة الكتاب..

الدكتور عبد الرحمن الشهري المشرف العام على شبكة التفسير: أقرأُ في كل مكان وزمان

▪ الرياض / الإسلام اليوم

لكل شخصية مفتاحها، ومفتاح شخصية الأكاديمي السعودي الدكتور عبد الرحمن بن معاضة الشهري أستاذ الدراسات القرآنية المساعد بكلية التربية بجامعة الملك سعود هو حب القراءة واقتناء الكتاب؛ إذ يجمع هذا الأكاديمي الشاب آلاف الكتب في مكتبته الخاصة، تراوحت بين الكتب المتعلقة بتخصصه في الدراسات القرآنية، التخصصات التي يهوى القراءة فيها مثل الدراسات الأدبية واللغوية التي تحتل حيزاً كبيراً في مكتبته.

ويعتقد الدكتور عبد الرحمن الشهري أن وجود المكتبات في المنازل يحقق الكثير من الفوائد الثقافية والتربوية، أهمها أن الأطفال الذين يولدون في بيت فيه مكتبه تكون فرص تعلقهم بالاطلاع والثقافة أكبر من أولئك الذين لم يجدوا مكتبات في منازلهم، وبكثير من الأسف يوضح الشهري أن أغلب المنازل الآن هي بلا مكتبات حتى (إسكان) أساتذة الجامعات اتضح أن من بناها لم يفكر في تخصيص مكان لتكون فيه مكتبة منزلية، لأن ثقافة المكتبات المنزلية أصبحت ثقافة مفقودة في المجتمع.

وفي هذا الحوار المطول يسرد الدكتور عبد الرحمن الشهري مسيرته مع الكتاب، وكيف تحمل مشاق السفر لكي يحصل على كتاب أو كتابين، وكيف استطاع أن يجمع بين العديد من التخصصات ليخدم بها في النهاية تخصصه الأساس (الدراسات القرآنية).

■■ **كيف كانت بدايات اهتمامك بالكتاب والمطالعة؟**

■ ولدتُ في بيت متواضع في قبيلة بني بكر في مدينة النماص، وكان أبي رحمه الله لا يحسن القراءة والكتابة إلا قراءة بضعة أجزاء من القرآن الكريم، وأما أمي -حفظها الله- فلا تحسن القراءة ولا الكتابة، وقد عشنا في بيئة غلب عليها الاهتمام بطلب المعاش ومغالبة مصاعب الحياة، فلم يكن للكتاب والعناية به مكان يذكر إلا ما لا بد منه من الدراسة المنهجية، وكنتُ -ولله الحمد- من المجدّين في دراستي في مراحل الدراسة، وكنت أجد من المدرسين الفضلاء الذين علّموني كل التشجيع. وأذكر موقفين في هذا الجانب:

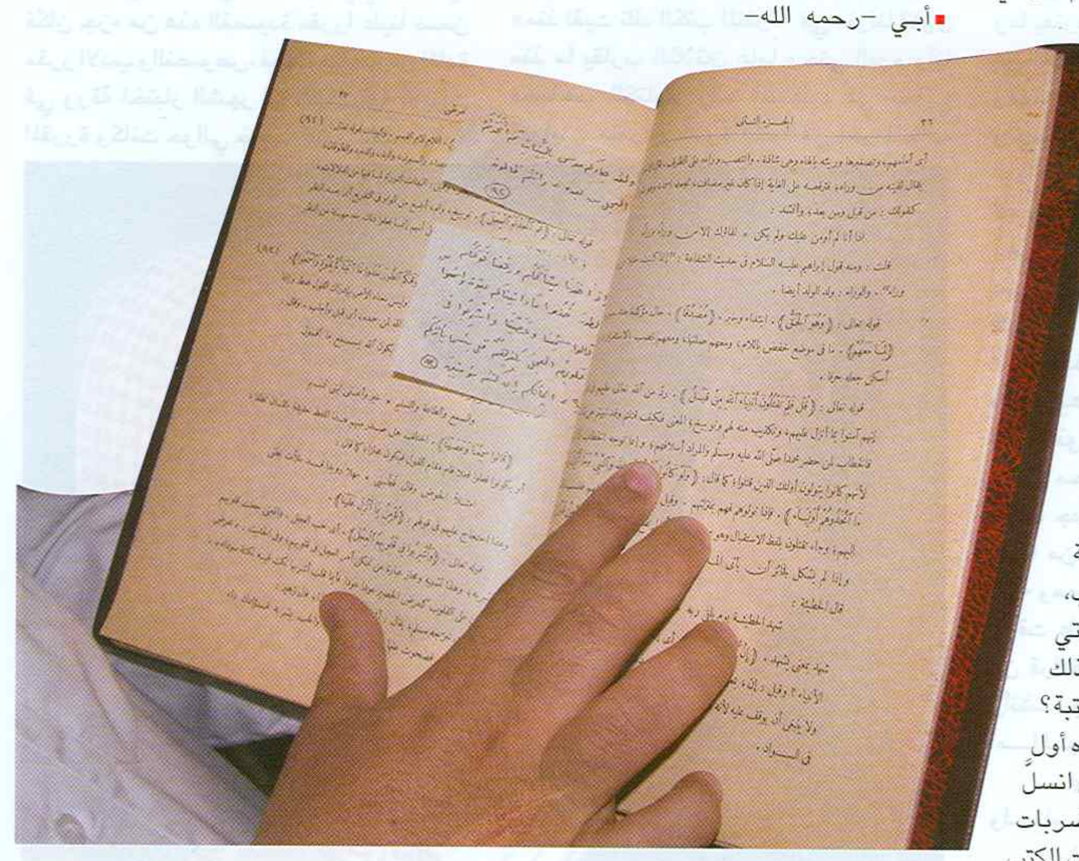
الموقف الأول: عندما كنت في المرحلة الابتدائية استعرت بتوجيه من أحد الأساتذة الفضلاء من مكتبة المدرسة كتاباً عن الصحابي الجليل خالد بن الوليد -رضي الله عنه- ضمن سلسلة (الناجحون) التي كانت تصدرها (دار العلم للملايين) فيما أظن، فأحببت هذا الصحابي كثيراً، ولا سيما أن تلك السلسلة كانت تُصاغ بطريقة روائية ممتعة، فدفعني ذلك لقراءة كتب تلك السلسلة على ما فيها من الانحراف المنهجي، فقرأت عن هنيبعل، ومدام كوري، وليوناردو دافنشي، وصقر قريش وأنا في المرحلة الابتدائية، وكلهم كانوا ضمن هذه السلسلة من الناجحين بمقاييس تلك السلسلة، ولم تكن تلك السلسلة تُعنى بإبراز محل القدوة في سيرة أولئك الناجحين، ولم يبقَ في الذاكرة من تلك القراءات إلا القليل، لكنها كانت بذرة دافعة للاستمرار في صحبة الكتاب بعد ذلك.

الموقف الثاني: عندما دخلتُ يوماً لمكتبة المدرسة المتوسطة وأنا في آخر المرحلة المتوسطة لأستعير كتاباً، وكانت تلك أول مرة أدخل فيها مكتبة المدرسة المتوسطة لاستعارة كتاب، فسألني أمين المكتبة وهو من أساتذتي القدماء في الابتدائية إلا أنه انتقل بعد ذلك للمتوسطة: كم رقمك في سجل المكتبة؟ فأجبته: ليس لي رقم في المكتبة، وهذه أول مرة أدخل المكتبة. فنظر إليَّ شزراً، ثم انسل فتناول العصا، وضربني بها عدة ضربات موجعات جداً، وقال: إذا لم تستعر أنت الكتب من المكتبة فمن يستعيرها؟ وهذا من إحسان ظنه بي حفظه الله، ثم أعارني الكتب بعد ذلك وأصبح يتعاهدني بعدها إذا تأخرت عن المكتبة، ويجبرني على استعارة الكتب وقراءتها، ومع قسوته الظاهرة إلا أن ذلك من فرط إشفاقه وحرصه على الطلاب حتى يرتبطوا بالكتاب والقراءة.

وهذه رسالة للإخوة المعلمين ألاّ يحقروا من التوجيه للطلاب شيئاً، فرُبَّ كلمة يقولها المعلم يوماً لا يلقي لها بالاً ينفع الله بها الطالب نفعاً عظيماً، وأذكر مثالاً لذلك يوماً عندما كنت في كلية الشريعة، فسألتُ أستاذ النحو عن كتاب ينفعني في فهم أساليب القرآن، فذكر ليّ كتاب دراسات لأسلوب القرآن الكريم للعلامة النحوي محمد عبد الخالق عضيمة -رحمه الله- في أحد عشر مجلداً، فسافرت من أبها، واشتريته من الرياض حينها، وعلى الرغم من عدم معرفتي المسبقة للكتاب والمؤلف إلا أنني انتفعت بالكتاب بعد ذلك انتفاعاً عظيماً، وكانت كلمة عابرة من أستاذي وهو يهم بالخروج من القاعة، إلا أنها وقعت في موقعها.

■■ **هل كان أحد من الأسرة مهتماً بهذا الجانب وتأثرت به؟ بمعنى آخر هل وجدت مكتبة في بيتكم في الصغر وتأثرت بها؟**

■ أبي -رحمه الله- لم يكن قارئاً متعلماً، وإنما كان يحسن قراءة بضعة أجزاء من كتاب الله يكررها ويتعاهدها، وأمي رعاها الله وأحسن إليها لا تحسن القراءة ولا الكتابة، غير أن أبويَّ كانا متميزين في تربيتنا على الدين والأخلاق الحميدة وحب العلم، وكل ما حققته أنا وإخواني وأخواتي فبتوفيق الله سبحانه وتعالى ثم بفضل تربية هذين الوالدين جزاهما الله خيراً. وكنت التاسع بين أشقائي، وأنا أصغر الأبناء، وقد سبقني أشقائي الأربعة -حفظهم الله- في الدراسة وطلب العلم، ولهم عليَّ فضل كبير؛ فكل واحد منهم ترك أثراً طيباً في نفسي، وكنت أرى تميز كل واحد منهم في تخصصه، فيدفعني هذا للمنافسة والمثابرة. وقد استفدت كثيراً منهم بصفة عامة في الحرص على التفوق الدراسي والصبر على طلب العلم، وإن لم يكن هناك تأثير خاص في جانب الاهتمام بالقراءة الحرة؛ إذ لم يكن لدينا مكتبة مخصصة في المنزل، وإنما هي بضعة كتب متفرقة هنا وهناك. ولذلك ذهب كثير من وقتي في مرحلة الشباب الأولى سدًى في لعب الكرة، وتتبع الصيد، ونحو ذلك، ولو تيسر لي من يدلني على القراءة، ووجدت في المنزل مكتبة تجذبني للقراءة لكان لذلك الأثر النافع في عقلي وعلمي.



ما هي الكتب التي أسهمت في تشكيل ثقافتك الأولى؟

وجدت يوماً وأنا صغير جزءاً من كتاب الحيوان للجاحظ، فقرأت فيه وأنا بعدُ في المرحلة الابتدائية، وما كنت أعرف قيمة هذا الكتاب، ولا من هو الجاحظ، ثم علمتُ بعدُ أن هذا الجزء من الكتاب قد استعاره خالي فايز بن شكري شقيق أمي -حفظهما الله- من مكتبة المدرسة التي يديرها، ولعل أحد إخواني قد أخذه من بيته، وخالي -حفظه الله- من المربين الذين كان لهم دور في تربيتنا وتوجيهنا جزاه الله خيراً. ووجدت كذلك رواية البؤساء لفيكتور هوجو بترجمة حافظ إبراهيم، فقرأتها وأنا في المتوسطة، وأظن أحد أشقائي هو الذي اشتراها. ومن الكتب القيمة التي وجدتها في المنزل وأنا صغير ديوان سقط الزند لأبي العلاء المعري، وكنت أسمع شقيقي الدكتور زاهر يترنم بقصيدته الدالية:

غيرُ مجدٍ في ملّتي واعتقادي نوحُ باكٍ ولا ترنُّمُ شادي
وشبيهٌ صوتُ النعيِّ إذا قيس بصوت البشير في كلِّ نادِ

فأحببت هذه القصيدة وحفظتها كاملة، ومرت الأيام حتى كنت في الصف الثاني الثانوي، فكان جزء من هذه القصيدة مقرراً علينا ضمن مقرر الأدب والنصوص، فطلب منا مدرس المادة في ورقة اختبار الشهر أن نكمل بقية الأبيات المقررة وكانت حوالي خمسة عشر بيتاً مختارة من وسط القصيدة، فقمت بكتابة القصيدة كاملة، فلما صحح المدرس الأسئلة لفت نظره حفظي للقصيدة كاملة، مع إن كتابتي للقصيدة كاملة لم يكن مناسباً ولا مقبولاً في الاختبار، وكان من المتوقع منه أن يعاتبني وله الحق، غير أنه كان أستاذاً مربياً، شكرني على هذا الصنيع، ونوَّه بي في الطابور الصباحي حينها، وطلب مني أن ألقي القصيدة ذات صباحٍ فكان ذلك مشجعاً لي بعد ذلك فجزاه الله خيراً.

ثم كان لكتب مهمة بعد ذلك فضل توجيهي وتثقيفي، وكل كتاب أقرؤه يدلني على غيره حتى كثرت كتبي وتنوعت اهتماماتي، ولعل من أجود الكتب التي يقرؤها طالب العلم لشحذ همته للعلم كتب تراجم العلماء، وتواريخهم ففيها من القصص والمنهجيات والطرائف ما يشجع المتردد، وينشط الكسلان، ويدفع بالهمة إلى القمة. وفي كتاب (صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل) للشيخ عبد الفتاح أبو غدة -رحمه الله-، وفي كتاب (الكتاب في الحضارة الإسلامية) للدكتور يحيى الجبوري قصص وفوائد كثيرة تذكي الهمم، وفيها أمثلة رائعة رائدة في هذا الباب.

كيف تصف مسيرتك مع الكتاب والقراءة حتى الآن؟

منذ لقيت تلك الكتب المتفرقة في منزلنا الأول منذ ما يقارب الثلاثين عاماً وحتى اليوم وأنا مصاحب للكتاب، وقد اشتغلت في حياتي بهوايات متفرقة كثيرة لكنها في آخر المطاف توارت خلف عنايتي بالكتب والقراءة حتى لم أعد أجد متسعاً من الوقت للعودة إلى ممارسة شيء من تلك الهوايات كالخط والسباحة وكرة القدم، واستغرقت القراءة والبحث عليّ وقتي حتى أخذتني أخذاً عن كل ما حولي. وإني الآن أنظر للتجربة، فأحمد الله سبحانه وتعالى الذي وفقني للسير في هذه الطريق؛ فكل اهتماماتي العلمية التي تشغلني اليوم وتستهلك وقتي تدور حول القرآن الكريم تلاوة وتفسيراً وتدبراً ومؤلفات وبحوثاً ودروساً ومواقع إنترنت، وأصبحت أوظف كل قراءاتي في التخصصات الأخرى لخدمة هذا الجانب العلمي، فلقيت في هذا فائدة عظيمة لي ولمن حولي، وأرجو أن يوفقني الله، ويختم لي بخاتمة حسنة على عمل صالح.

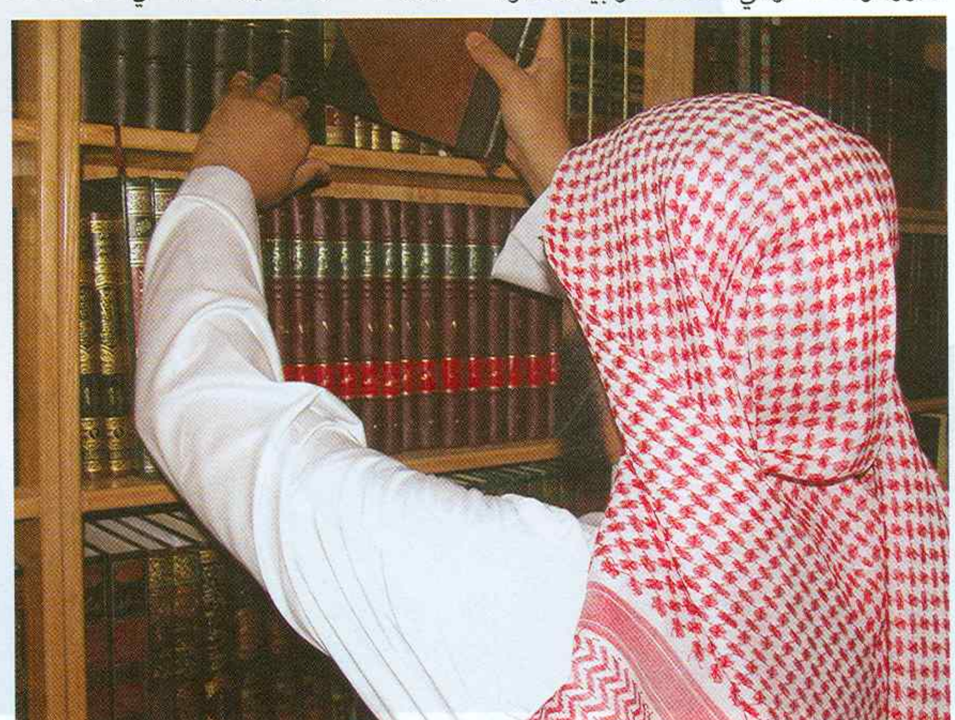
ولو أتيح لي وقت الحداثة الأولى وبداية الشباب من يقوم على توجيهي للقراءة النافعة، والمنهجية الصحيحة في القراءة لاختصرتُ كثيراً من مواهبي، ووفرت كثيراً من وقتي في العلم النافع، بدل السير في طرائق من الطلب تبين لي بعد حين الارتدادَ عنها، وقد كان أشار إلى مثل هذه المشكلة العلامة محمد الطاهر بن عاشور -رحمه الله- في كتابه العجيب (أليس الصبح بقريب) عند كلامه عن طرائق التعليم، وما يعترض الطالب إذا لم يجد ناصحاً وموجهاً من العقبات والمشكلات.

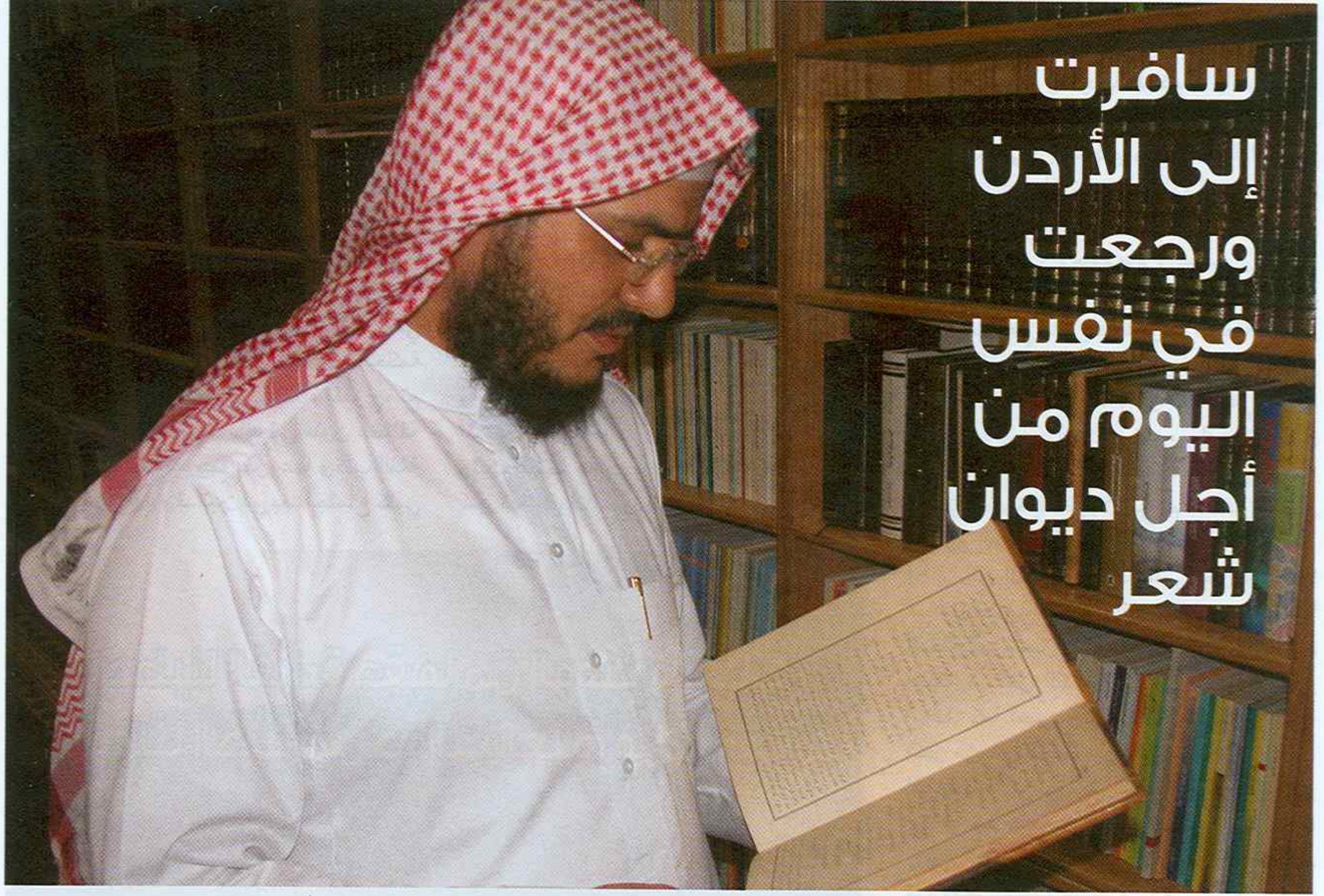
وهذه المسألة من أهم ما ينبغي على المربين والمصلحين أن يعنوا به من توجيه الشباب إلى البرامج النافعة في القراءة، والأخذ بأيديهم لأفضلها؛ حتى لا يضيع الزمان على الشاب وهو يتردد بين الكتب دون أن ينتفع بما فيها على الوجه الأكمل، وأن يتخيروا لهم الكتب الموثوقة المعتمدة النافعة.

يلاحظ أن اهتماماتك متنوعة بين الأدب والشريعة وعلوم القرآن.. كيف كان تأثير هذا التنوع على مكتبتك الخاصة؟

كان محمد بن يسير الرياشي محباً لجمع الكتب جداً، شغوفاً بأنواع العلوم، فلا يسمع طرفاً من أي علم إلاّ تاقت نفسه لطلبه وطلب كتبه ومصنفاته، ومع تزاحم مسؤولياته ضاق الوقت عليه، فلم يعد يجد متسعاً ليروي غليله من قراءة تلك الكتب، فوقف يوماً أمام كتبه، وأنشد أبياتاً يقول فيها:

أما لو أعي كلَّ ما أسمعُ وأحفظُ من ذاك ما أجمعُ
ولم أستفد غير ما قد جمعتُ لقيل هو العالمُ المصقعُ





ولكنَّ نفسي إلى كل لون
من العلم تسمعُه تنزعُ
فلا أنا أحفظ ما قد جمعتُ
ولا أنا من جمعه أشبعُ
فمن يكُ في علمه هكذا
يكنْ دهرُه القهقرى يرجعُ
إذا لم تكن حافظاً واعياً
فجمعُك للكتب لا ينفعُ

وأنا أحفظ هذه الأبيات، وأتمثل بها لحالي كلما نظرتُ إلى كثرة كتبي، وضيق وقتي عن قراءتها، وأصبحتُ إذا اعتذرتُ للأهل والأصدقاء بضيق وقتي استغربوا، فأقول لهم: متى أقضي حق هذه الكتب قراءةً ودراسةً وفهماً إذا كنت لا أغيب عن مناسبة، ولا أرد دعوة؟

وفي الحقيقة إن لكل فن من الفنون العلمية الشرعية خاصة مكانةً في نفسي لا يسدها غيره، بل وإنني أعتني بكتب العلوم الأخرى كالرياضيات والكيمياء والفيزياء والأحياء والجيولوجيا والانجليزية، وأحتفظ بكتبي التي درستها في المرحلة الثانوية في هذه المواد، وأراجعها بعد كل مدة من الزمن، حتى أكون على ذُكْر لأساسيات هذه العلوم التي لا نستغني عن معرفتها في زماننا هذا، ولو لم يكن لها من الفوائد إلاّ معرفة التفسير العلمي لكثير من الظواهر الفيزيائية والكيميائية وغيرها لكفى، كما أعتني بمتابعة كتب الحاسب الآلي ومجلاته الجديدة. إلاّ أن التخصص في الدراسات القرآنية والعربية جعلني أحرص على كتبها بشكل كبير، فلذلك كثرت كتب هذه التخصصات في مكتبتي كما لاحظتم، وإن كنت لا أغفل التخصصات الأخرى، وأحرص على كتبها ولا سيما المتميزة منها.

▪▪ التنوع في الاهتمامات الأكاديمية.. ألا يفقد الأكاديمي ميزة الاطلاع الواسع على مجال واحد؟

▪لو أعطينا القراءة حقها من الوقت والعناية لاستوعبنا الكثير من جوانب العلم قراءةً وفهماً، ولم يؤثر التخصص الأكاديمي على الاطلاع على بقية التخصصات الشرعية القريبة، غير أنّ تفريق الجهود، وتضييع الأوقات في المجاملات الاجتماعية والدعوية أيضاً أهدر كثيراً من الأوقات التي كانت ستأتي على كثير من الكتب قراءة وفهماً، ولذلك ضعف التحصيل العلمي، فقل الإتقان الذي تطمئن إليه النفس، ويركن إليه الفؤاد. وأما التنوع الذي تراه في مكتبتي فهو تنوع محدود في تخصصات متقاربة ومتصلة ببعضها البعض اتصالا وثيقاً، فالدراسات القرآنية والعربية والفقهية وعلوم السنة كلها في دائرة واحدة كما أراها، بل إنني كما تلاحظ لا أدع ديواناً شعرياً ولا سيما من المتقدمة إلاّ اشتريته، وإنني أحتسب ذلك خدمة للقرآن وعلومه، لما بين إجادة لغة العرب وشعرها وفهم القرآن ولغته من اتصال، وقد يكون من آثار هذا الاهتمام أنني كتبت رسالة الدكتوراه في موضوع (أثر الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم) فكان فيه جمع بين الدراسات القرآنية والعربية.

ولذا فإن القارئ النهم الحريص لا يضيره كثيراً تخصصه العلمي في فن من الفنون، بخلاف الذي لا يقرأ فإنه لا يكاد يتقن تخصصه العلمي الدقيق لقلة متابعته، وإعراضه عن القراءة فيه، فضلاً عن أن يقرأ في تخصصات قريبة أخرى. وعلى كل حال فلا شك أنّ التخصص الأكاديمي

يجبرك على القراءة في مجال التخصص أكثر من غيره.

■■ **هل بدأت في تكوين المكتبة بكتب الأدب واللغة أم الشريعة والقراءات؟**

ذكرت لك أن من أوائل الكتب التي في مكتبتي اليوم هي ديوان سقط الزند للمعري، ورواية البؤساء للأديب الفرنسي فيكتور هوجو، ولم أكن أنا الذي اشترى هذين الكتابين، وإنما بعض أشقائي، وأما أنا فأول كتاب اشتريته فهو كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي طبعة البابي الحلبي، ثم اشتريت كتاب الحكمة في شعر المتنبي وشعر أبي العلاء المعري، ثم تتابع شرائي للكتب بعد ذلك في فنون مختلفة غلب عليها كتب الشريعة بفروعها وكتب اللغة العربية بفروعها. وقد تبين لي بعد اجتماع كتبي في مكان واحد الآن أنَّ كتب الدراسات القرآنية وكتب اللغة العربية بفروعها هي الغالبة على كتبي، ولا ألوم نفسي على ذلك فإني -ولله الحمد- أستفيد منها كلها، ويستفيد منها غيري ممن يرتاد مكتبتي من الإخوة.

■■ **هل هناك عادات معينة لكم أثناء القراءة؟ كأن تقرأ في مكان معين أو زمن معين؟**

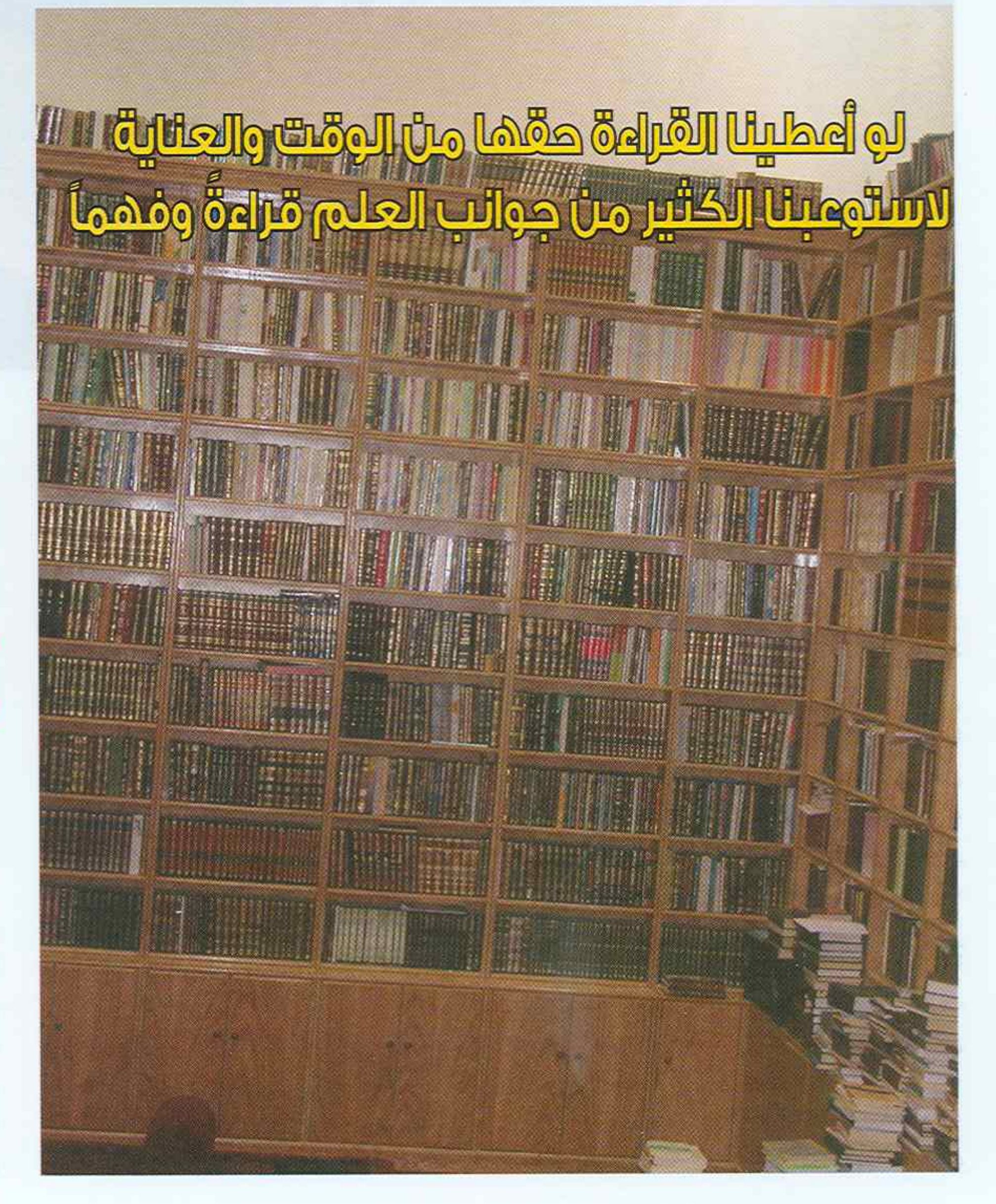
قرأت كثيراً عن أفضل طرق القراءة، والمهارات التي يمكن الاستفادة منها لتحسين طرق القراءة، ولكنني مع كثرة نهمي بالقراءة لم أستطع المحافظة على عادة من تلك العادات الجيدة، وإنما أقرأ في كل مكان أجده هادئاً ومناسباً في المكتبة أو في البيت أو في مكان نومي، وكلما رتبت الكتب عادت بعد الاستغراق في القراءة سيرتها الأولى من التراكم والتزاحم، حتى يئست زوجتي -حفظها الله- من أن أحافظ على ترتيب البيت والكتب، وأصبحت هي ترتب الكتب بنفسها وتعيدها للمكتبة، وأسأل الله أن يكتب لها الأجر على صبرها وتحملها، وقد حرصتُ على أن أتقيد بمواعيد معينة للقراءة، وأعدها بذلك، ولكنني لا أستطيع التقيد بأوقات معينة للقراءة، وإنما أعود للقراءة حتى في أوقات الراحة والاستجمام والسفر، وما زلت إلى اليوم أعاني من هذا، حتى في السفر آخذ من الكتب معي ما لا يحتمله وقت الرحلة كلها لو تفرغت للقراءة، واشتري معي في سفري أكثر مما أخذت معي للقراءة، وأقرأ أحياناً في إضاءة كافية، وكثيراً ما أقرأ في ضوء خافت لا يصلح للقراءة خشية إيقاظ الأبناء، ومع علمي أن هذه الطرق مضرة بالنظر إلاّ أنني لم أستطع الالتزام بالطرق السليمة في القراءة.

إلاّ أن من العادات الجيدة التي أحرص عليها في القراءة هي تلخيص أفكار الكتب في أغلفتها الداخلية، وتمييز المعلومات المتميزة والعبارات المختارة داخل الكتاب أو على غلافه الداخلي أيضاً. كما أحرص على قراءة الكتب المهمة أكثر من مرة ليقيني أن القراءة الأولى للكتب المهمة لا تكفي لفهمها واستيعابها، ولذلك ذكر في تراجم عدد من العلماء أنهم كرروا قراءة بعض الكتب أكثر من خمسين مرة، وبعضهم قرأ بعض الكتب ستمائة مرة كالقرطبي والد صاحب التفسير المشهور. ومن الأمور التي أحرص عليها تلخيص الكتب الطويلة في دفاتر مختصرة أرجع إليها وأراجعها، وجعلت لي كتباً معتمدة في كل فن من الفنون أراجعها مرة بعد مرة، وأمر عليها كل عام مرة على الأقل حتى لا تضيع مني مسائل هذه الفنون.

■■ **هل هناك كتب معينة تعتز بامتلاكك لها؟ وما هي؟**

■ في زماننا هذا توفرت الكتب ولله الحمد، فأصبح من السهل أن تحصل على الكتاب بطرق مختلفة ولو تصويراً أقرب ما يكون للأصل، غير أنني مع حرصي على الكتب في طبعاتها الأصلية إلاّ أنني لا أتوقف كثيراً عند هذا ويهمني القراءة للكتاب بالدرجة الأولى، فإذا قرأت الكتاب استرحتُ وشعرتُ أنني قد استعدت ثمنه الذي أنفقته فيه، وذهب التعب الذي أنفقته في الحصول عليه، فبعض الكتب قد سافرت للحصول عليها مسافات طويلة جداً، إن لم أقرأه أو أحفظه إن كان شعراً بقيت في نفسي حسرة منه.

ولديّ في المكتبة عدد من الكتب النفيسة التي



أراها قيمة في طبعاتها الأصلية، مثل الطبعة الأولى من كتاب (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي) التي طُبعت في دار الكتب المصرية عام ١٣٥١هـ. وكذلك الطبعة الأولى من كتاب الأمالي لأبي علي القالي الذي طبعته دار الكتب المصرية أيضاً، ومثل كتاب الأغاني للأصفهاني الذي طبعته الدار نفسها، ولديّ كذلك الطبعة الأولى من كتاب (نهاية الأرب) للنويري، والنسخة التي عندي عليها اسم طه حسين مدير دار الكتب المصرية حينذاك فكانت طبعة مجلدة تجليداً فاخراً. ولديّ كتب كثيرة في طبعاتها الأصلية عليها إهداءات من مؤلفيها كبعض كتب الرافعي ومحمد الخضر حسين -رحمهم الله- جميعاً، اشتريتها من القاهرة وغيرها بعد أن أعيد بيعها من ورثة أصحاب المكتبات الخاصة. ومع أهمية بعض الكتب إلا أن كل كتاب في مكتبتي أعده ثميناً وأحرص عليه وعلى قراءته، فإذا قرأتُ الكتابَ فقد استعدت ثمنه في نظري.

■■ هل واجهت عنتاً في الحصول على كتب معينة؟

■كثيراً ما أجد مشقة في الحصول على بعض الكتب، إما لنفاد نسخها من الأسواق وعدم إعادة طباعتها، أو لعدم توافرها في أسواق السعودية لأسباب مختلفة، أو لغير ذلك. وأبذل من أجل الحصول عليها ما أستطيع من الوقت والجهد والمال حتى أحصل عليها إما بالسفر أو المراسلة أو بوساطة بعض الأصدقاء. وأنا أسجل أسماء الكتب التي أحتاج إليها دائماً وأقيدها في ورقة أحملها في جيبي وأجددها باستمرار، حتى أبحث عنها في كل مناسبة تسنح لي. وأذكر لك قصة طريفة وقعت لي منذ أكثر من خمسة عشر عاماً. احتجت إلى ديوان شعر للقراءة فيه، وطلبته في مكتبات السعودية فلم أجده، ثم سمعت أنه موجود لدى بعض الفضلاء، فذهبت إليه راغباً في استعارته، ولكنه لم يوافق على ذلك وردَّني. فخرجت من عنده وفي نفسي حزن شديدٌ، وأخذت سيارتي وذهبت إلى موقف الحافلات التي تتجه إلى جدة، وسافرت من أبها إلى جدة، ثم سافرت من جدة إلى الأردن كذلك بالبر، فلما وصلتُ إلى العبدلي في مدينة عمان الأردنية سألتُ عن المكتبات فدللت عليها، فدخلتُ المكتبة وسألتُ عن الديوان فأحضره لي، فدفعت له ثمنه، وركبت سيارة الأجرة إلى مطار الملكة علياء في عمان، وعدت إلى جدة ومنها إلى أبها، وذهبت إلى سيارتي، وعدت إلى المنزل بعد ما يقارب الثماني والثلاثين ساعة. وقد انتفعت بتلك الرحلة كثيراً، واستفدت منها فوائد ما كانت لتكون لو حصلت على الديوان بسهولة، وقد وجدتُ بعد ذلك في ترجمة أحد العلماء أنه طلب استنساخ بعض الكتب من أحد من رحلوا للمشرق لطلب العلم فمنعه إياها، فدفعه ذلك للرحلة والتحصيل، فلما عاد شكر صاحبه الذي منعه الإعارة لأنه كان سبباً في الرحلة لطلب العلم وتحصيله، ولولا ذلك ما رحل، ورب ضارة نافعة.

■■ كم عدد الساعات التي تقضيها يومياً في القراءة وداخل المكتبة؟

■يوم كنت طالباً في الكلية كنت أقضي معظم وقتي في القراءة، لا يقطعني عنها إلا الصلاة أو الطعام أحياناً، ولم يكن لديّ هاتف ولم يكن معي أحد في المنزل. فكان وقتي كله للقراءة، ثم لم يزل وقت القراءة يقل شيئاً فشيئاً بعد الزواج والأبناء والبرامج العلمية الأخرى حتى ما عاد يزيد عن الثلاث ساعات في اليوم، وأحياناً لا أتمكن من القراءة إلاّ ساعة. واليوم الذي لا أقرأ فيه شيئاً أشعر بمرارته في نفسي، وألمه الذي يشبه الصداع، ولا يذهب عني إلاّ إذا قرأت ولو قليلاً في كتاب من الكتب قبل النوم.

■■ ما هي تقسيمات مكتبتك الخاصة؟

■أهمها الدراسات القرآنية بفروعها (القراءات - التجويد - التفسير - علوم القرآن - مناهج المفسرين)، والدراسات العربية بفروعها (النحو- الصرف - دواوين الشعر - الأدب - البلاغة - فقه اللغة وتاريخها)، ويأتي بعد ذلك بقية التخصصات الشرعية كالعقيدة والفقه وأصوله والحديث وعلومه، وكتب الخط العربي، وكتب التاريخ الإسلامي، والمجلات العلمية المحكمة فأنا أعتني بها كثيراً وأقرؤها، وبقية التخصصات كتبها قليلة لكنها أصول مهمة في هذه التخصصات كالفلك وعلم النفس والاجتماع والتخصصات التجريبية كالفيزياء والكيمياء والأحياء وغيرها، فإني أحب أن يكون لي اطلاع على كل نوع من العلوم، ولو كان اطلاعاً عاماً على أبرز مسائل هذه العلوم وموضوعاتها ليكفيني هذا في التصور العام لهذه التخصصات، فإنه يقبح بالرجل أن يجلس مجلساً لا يفهم ما يُقال فيه كما قال أحد المتقدمين.

■■ هل تلجأ لمكتبات الكتب المستعملة؟

■نعم أذهب إليها كثيراً، وقد حببها إليَّ أنني أجد فيها كتباً نادرة فرّط فيها ورثة بعض العلماء، وكتباً ندر وجودها في المكتبات. وأذكر موقفاً وقع لي، وهو أنني أملك نسخة من تحقيق الأستاذ العلامة محمود محمد شاكر وأخيه الشيخ المحدث أحمد شاكر لتفسير الإمام الطبري -رحمهم الله جميعاً- وقد خرج ذلك التحقيق الناقص للكتاب في ستة عشر مجلداً عن دار المعارف بالقاهرة، وهذه الطبعة نادرة، وندر وجودها في المكتبات منذ زمن. فاستعار مني بعض الزملاء المجلد الرابع عشر منه، ثم أنكر بعد ذلك أنه استعاره مني، فبقيت حسرة في نفسي، وبحثت عن ذلك الجزء الناقص في كل مكتبة أذهب إليها، وأوصيت الزملاء

السيرة الذاتية للدكتور عبد الرحمن بن معاضة الشهري

١- أستاذ الدراسات القرآنية المساعد بكلية التربية بجامعة الملك سعود - قسم الدراسات الإسلامية.

٢- المشرف العام على شبكة التفسير والدراسات القرآنية www.tafsir.net

٣- عضو مجلس إدارة الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه.

٤- عضو المجلس التأسيسي للهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم.

ولد في مدينة النماص، وأكمل فيها دراسته الثانوية، ثم التحق بكلية الشريعة بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأبها وتعين بها معيداً في قسم القرآن وعلومه، ثم واصل الماجستير والدكتوراه في قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بالرياض، وانتقل منذ عام إلى جامعة الملك سعود بالرياض وما زال بها.

لديه بعض المؤلفات مثل:

كتاب (الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم) رسالة دكتوراه سيصدر قريباً كما لديه بعض البحوث والكتب والأشعار الأخرى.

بالبحث، وبعد سنوات دخلت مكتبة للكتاب المستعمل، فوقعت عيني على الجزء المفقود من كتابي، وإذا به جزء أصلي غلاف، ففرحت فرحاً شديداً واشتريته منه بمبلغ زهيد لو طلب أضعافه لاشتريته لحاجتي الشديدة إليه، وهذا موقف من مواقف كثيرة في مثل هذه المكتبات.

■■ كيف تنظر لدور المكتبة المنزلية في تنشئة الأبناء على حب الكتاب؟

■أرى أنها ضرورة من ضرورات المنازل، لا بد أن تراعى أثناء بنائه إن كان صاحب المنزل يرغب في تنشئة أبنائه على حب العلم، وقضاء أوقاتهم وأعمارهم فيما ينفعهم، وقد لمست هذا في موقفين:

الأول: موقفي أنا حين نشأتُ في بيت ليس فيه مكتبة خاصة، ولا عناية كبيرة بالكتب، وكم فاتني من الخير بسبب ذلك.

والثاني: وموقف أبنائي الآن وأهلي وبعض طلبتي عندما توفرت المكتبة لهم الآن، بل وحتى كثيرٍ من جيراني –ولله الحمد– كانت مكتبتي سبباً لدفعهم ودفع أبنائهم للقراءة والاطلاع وتكوين مكتبات خاصة بهم بعد ذلك. وللأسف أنه في مجتمعنا العربي وهنا في السعودية ليست المكتبة من ضمن الغرف الرئيسة في المنازل أثناء تخطيطه وبنائه، ولذلك أعاني كثيراً وأمثالي من أصحاب المكتبات عندما نبحث عن منازل للإيجار، فلا نجد مكاناً خاصاً بالمكتبة، وإنما توضع في مكان غير مهيأ لها. وهذا لأن المكتبات في المنازل ليست من أساسيات تصميم المنازل، وأما (المقلط) وغرفة التلفاز وغرف النوم الواسعة فهذه أساسيات عندنا نبالغ في العناية بها، ولو كانت المكتبات أساسية في مجتمعنا لروعيت في التصميم عند المصممين وأصحاب العقارات، بل إن من الغرائب أن الغرف الخاصة بالمكتبات لا تُراعى حتى في إسكانات أعضاء هيئة التدريس في الجامعات وهم مظنة المكتبات الخاصة، وإنما تُصمّم شققهم ومبانيهم كغيرها من الشقق، وإن وجدت مكتبة فهي صغيرة بمساحة مستودع المنزل الذي يوضع به السكر والصابون!

■■ ما النصائح التي يمكن أن تقدمها للناشئة المهتمين بالاطلاع.. هل هناك قراءات أو كتب معينة يُستحسن أن يُبدأ بها؟

■كثيراً ما يسأل الناس هذا السؤال، ولا سيما من ليس لهم عناية بالكتب وقراءتها، ولذلك أنصحهم دائماً بقراءة كتب الأدب والتاريخ التي تحبب إليهم القراءة والمداومة عليها، وقد جربت هذه الطريقة كثيراً، ونجحت مع كل أو معظم الذي جربتها معهم، وأذكر أحد الأصدقاء، لم يكن له هم إلاّ كرة القدم ونحن طلبة في كلية الشريعة، وكان يلومني على الانقطاع للقراءة، وألومه لانقطاعه للكرة، فما زلت به أعطيه كتب علي الطنطاوي –رحمه الله– يقرؤها ويعيدها حتى تعلق بالقراءة والكتب، وواصل بعد ذلك، وأصبح الآن من الأدباء والكتاب المتميزين حفظه الله.

ثم يجب على الشباب أن يبادروا بالقراءة والاطلاع اليوم في مرحلة الشباب قبل أن يولي الشبابُ عن المرء فكما قال المتنبي:

آلةُ العيشِ صحةٌ وشبابٌ فإذا وليا عن المرءِ ولّى فلا بد من اغتنام وقت الصحة والفراغ والشباب في القراءة والإكثار منها، فإنها توسع المدارك، وتنمي العقل، وتترك آثارها الحسنة بإذن الله على القارئ دهراً طويلاً، وما يدريك لعل الكتاب الذي يكون سبباً في دخولك الجنة لم تقرأه بعدُ.

ومن أراد أن يزداد حباً للقراءة فليجالس المهتمين بالقراءة وأصحاب الخبرة فإن مجالستهم تحفز على القراءة والحرص عليها، وليكن الطالب حريصاً على القراءة للمؤلفين الموثوقين في كل علم، وهم معروفون ويمكنه أن يستشير أهل الخبرة بالكتب، فإن الكتب كثيرة والوقت قصير، فلينفق وقته وعمره في المهم من العلم حتى لا يتفارط عليه الزمان وما حصّل شيئاً.

■■ كيف تنظر لحركة النشر في السعودية؟

■في الوقت الراهن كثرت دور النشر والمكتبات ولله الحمد، وظهرت العناية بنشر الكتب القيمة والرسائل العلمية المتميزة، وانتشرت معارض الكتاب المحلية والدولية، وساهمت دور النشر في نشر العلم والكتاب على نطاق واسع ولله الحمد، وللكتاب الإسلامي ودور النشر المعنية به المقام الأول في هذه المشروعات؛ لأنها تحمل رسالة سامية نفع الله بها، ونرجو أن نرى المزيد من العناية بهذا فإن كثرة المكتبات ونشر الكتب علامة وعي الأمة والمجتمع، وعلامة على السير في الطريق الصحيح.

■■ جيل الشباب الحالي هل تراه مقبلاً على القراءة؟

■من خلال ممارستي للتدريس في الجامعة منذ تخرجي إلى الآن أجدني حزيناً للحال التي عليها شبابنا حفظهم الله ووفقهم، فنادراً ما أجد طالباً حريصاً على القراءة والاطلاع، ولكنني في تعاملي معهم لا أحب نشر مثل هذه التصورات عن الواقع، وأسعى دوماً لتغييره إلى الأفضل، فأحرص دوماً على حث

> **إسكانات الأساتذة الجامعيين فيها أماكن للدقيق والسكر وتخلو من مساحات للكتب**

الشباب على القراءة، وأعيرهم الكتب لقراءتها، وأجعل على ذلك درجات للمشاركة في المناهج عندما أدرسهم، ولا أدع فرصة للتنويه ببعض الكتب المتميزة إلاّ انتهزتها، وقد لمست نجاحاً لمثل هذه الطريقة بدل لوم الشباب على عدم القراءة في حين هم ضحايا لسياسات تربوية كثيرة، وبيوت لا تعير المكتبات أهمية. والمناهج الدراسية لا تجد فيها مادة تعالج أهمية القراءة وطرائقها الصحيحة وعاداتها الحسنة، ولذلك ظهر الخلل في الطلاب، ولو خصصت مادة للقراءة وأهميتها ومنهجيتها لكانت أولى من الاهتمام بتعليم اللغة الانجليزية لمراحل لا تنتفع بها في الابتدائية، وربما يكون ضررها أكبر من نفعها على الطلاب، فقد زاحمت لغة القرآن فأفسدت ألسنة الطلبة.

■■ ما الأثر الذي يمكن أن يحدثه تضاؤل الاهتمام بالكتاب في مجتمع ما؟

الموتُ هو مصير المجتمعات التي تجعل الكتاب في ذيلِ اهتمامها؛ لأنها سوف تتلاشى شيئاً فشيئاً، ولذلك يجب أن نجدد ونحيي في نفوس الأجيال حب الكتاب وفضل الكتب، لنعود كما كنا أمةً تعطي أكثر مما تأخذ، ولو تتبعت تأريخ الأمة الإسلامية لوجدت أنها حضارة الكتاب والقراءة، ولأمر ما كان أول ما بُدئ به الرسول –صلى الله عليه وسلم– من الوحي: (اقرأ باسم ربك الذي خلق). فنحن أمة القراءة، وأمة العلم، ولا بد أن يكون لكل منتسب لهذا الدين حظ من القراءة والعلم بالقرآن.

ونحن في هذا الزمان في أمسِّ الحاجة إلى القيام من عثرتنا بوسائل كثيرة من أمثلها وأهمها إعادة الاعتبار للكتاب في المجتمعات الإسلامية، ولعل مثل هذه اللقاءات التي تجرونها في مجلتكم المتميزة ما يدفع للعودة لمثل هذا، وأنا أشكر مجلة (الإسلام اليوم) على تفضلها بهذه الزيارة وحرصها على بعث الهمة في نفوسنا بإثارة مثل هذه الموضوعات التي نحن بحاجة إليها، وشبابنا وبناتنا بحاجة إلى تكرارها على مسامعهم لكي يأخذوا الكتاب بقوة.